صدر عن (المدى)

إيان مكيوان في (أمستردام)

سعد محمد رحيم

لم أقرأ قبل (أمستردام) أية رواية للروائي الإنكليزي إيان مكيوان. ولا أعلم إن كانت هناك روايات أخرى له مترجمة إلى العربية. والإضاءة الوحيدة المقدمة لنا من قبل الناشر عنه هي أن هذا الكاتب أعاد للرواية الإنكليزية اعتبارها. ورواياته هي الأكثر مبيعاً، الآن، بين قراء اللغة الإنكليزية. وبجولة سريعة في الشبكة العنكبوتية بحثاً عن معلومات تخص مكيوان سنعرف أنه ولد في الدرشوت في العام ١٩٤٨، وكان والده ضابطاً في الجيش البريطاني، وأنه لهذا السبب عاش حياة تنقل واسعة. وقد درس الكتابة الإبداعية على يد الناقد الكبير مالكولم بردابري، ونشر أكثر من عشر روايات، وحصل على جائزتي بوكر وويتبريد، ورشحه بعض النقاد للحصول على جائزة نوبل للآداب.

(أمستردام/ من منشورات دار المدى للثقافة والنشر. دمشق/ ٢٠٠٧، بترجمة؛ أسامة منزلجي)) هي رواية عن أزمة العلاقات الاجتماعية في راهن إنكلترا. عن التشابك بين السياسي والاجتماعي والإعلامي في المدينة القديمة الصاخبة (لندن)، حيث تُظهر الشخصيات أفضل وأسوأ ما لديها من خلال أفكارها ومواقفها وسلوكياتها. فهذه رواية عن الخيانة والدسائس والانتقام.. عن الصداقة والحب والكره.. عن العزلة والوحدة والموت. وأخيراً عن الفعل والتجربة والخطأ. إذ يحسب تاريخ حياة كل شخصية بمجموع ما اقترف من أخطاء. ويصدر الروائي روايته بمقطع شعري لـ (هـ. و. أودن): "الأصدقاء الذين تقابلوا هنا، وتعانقوا، ذهبوا كل إلى أخطائه". ولكن؛ هل سيكون ثمة هامش للندم أيضاً؟.

تبدأ الرواية بمراسيم جنازة مولي لين في كنيسة المحرقة. ومولي كما يخبرنا الراوي امرأة جميلة ذكية مرحة ولعوب، لها عديد من العشاق بينهم جوليان غارموني وزير الخارجية. تصاب في منتصف عقدها الخامس بمرض السرطان فتفقد السيطرة على أدائها الجسدي ويغيب حسها الفكاهي، وتتدهور قوتها البدنية قبل أن توافيها المنية.

يصور لنا الروائي، في هذه الرواية، عالم الطبقة الوسطى الإنكليزية في الربع الأخير من القرن العشرين، وما يتخلل ذلك العالم من اضطراب في القيم، ونفاق اجتماعي ومؤامرات، وما يطبع سلوك أفرادها من رياء وأنانية.

نتعرف على شخصية كلايف لينلي المؤلف الموسيقي الذي سبق له أن عاش مع مولي حياة فوضوية مذ كانا تلميذين في المدرسة في العام ١٩٦٨، وشخصية فيرنون هاليداي الذي عاشر مولي مدة عام (١٩٧٤) في باريس. ومن سياق السرد نفهم أن مولي هي البؤرة التي تدور حولها الشخصيات والعلاقات.

فرنون صحافي، يبلغ منصب رئيس تحرير صحيفة (جدج/ الحاكم) بمحض مصادفة.. رجل يفتقر، كما يزعم الراوي، إلى الانفعالات الحادة، وخال من الأخطاء والمزايا، ويكاد يكون بلا هوية.. يقع في فخ، يبدو أن جون لين، زوج مولي، نصبه له. وجون له أسهم في الصحيفة ذاتها، يعطي فرنون بضع صور عن غارموني (وزير الخارجية) وهو يرتدي ملابس نسائية ويتخذ وقفة عارضة أزياء بثديين زائفين ووجه مطلي بمساحيق التجميل.. ينشرها فرنون في الصحيفة وهدفه تدمير غارموني وإبعاده عن رئاسة الوزارة.. يحاول الحصول على دعم صديقه الموسيقي كلايف إلا أن الأخير يرفض فكرته لأن الصور ملتقطة بكاميرة مولي، حيث تظهر شخصياً في إحدى الصور، ونشرها في صحيفة هي خيانة لذكراها.. كان جون لين يسعى للانتقام من غارموني، أو أن يضرب عصفورين بحجر ويطيح بفرنون أيضاً طالما كان عاشقاً لمولي هو الآخر. وتفشل محاولة فرنون بسبب حيل الميديا الجديدة، ويخرج فرنون من القضية أكثر قوة، ويضطر فرنون إلى الاستقالة ليجد نفسه وقد تحطمت آماله، فيلحق بكلايف إلى أمستردام، وهناك تحدث واقعة مدوية؟

ولكن؛ لماذا أمستردام، وماذا يصنع كلايف هناك؟.

يكلف كلايف بإعداد سيمفونية نهاية الألفية من قبل الحكومة. وسنكون معه في معاناته وهو يبدع الفقرات والمقاطع الموسيقية.. يغير ويصحح.. يصاب بالإحباط وتعسر عليه عملية الخلق، ثم يأتيه الإلهام.. يغتبط لما أنجز، ويقلق حين يحس بفقدان الانسجام، ويشك أحياناً بقدراته، وتبقى حواسه متيقظة بانتظار اللحظات النادرة التي تتكشف عن المدهش والجميل "فالتركيز هو على الموسيقا، على التحويل العجائبي للفكر إلى صوت... أن يجعل من تلك المسرة في وقت واحد غاية في الحسية والتجريد، أن يترجم إلى أثير متبخر هذه اللالغة التي لا سبيل أبداً إلى بلوغ معانيها".

ستكون أمستردام هي المحطة التي تنتهي عندها الأحداث الدراماتيكية.. الذروة التي ستبلغها صداقة فرنون وكلايف.. هناك إذ ستُعزف سيمفونية كلايف عزفاً أولياً، وسيكون معه فرنون الذي سبق وأن وشاه للسلطات بسبب أنه (أي كلايف) شاهد مقدمات جريمة قتل ولم يخبر الجهات المعنية.. سيقدّم كل منهما كأساً مسمومة للآخر، وسيموتان معاً.

تبدو نهاية كل من الصديقين، وعلى هذه الشاكلة، الدراماتيكية لا معقولة.. نوعاً من الكوميديا السوداء، يشي عن اختلال أخلاقي.

"لم يكن انتحاراً مزدوجاً.. يقول غارموني ويضيف: "لقد سمم أحدهما الآخر؛ عمل على تدمير الآخر. يعلم الله لماذا. كانت جريمة قتل مزدوجة".ولا شك نحن نعرف، كقراء، عن خلفية الحدث أكثر مما تعرف شخصيات الرواية الأخرى. فأن يقتل كل منهما الآخر، ذروة تراجيدية، غير منطقية.. محاولة انتقام تشبه الانتحار تماماً. كما لو أنهما اتفقا على هذا الأمر، أو لم يكونا صاحيين تماماً، أوكأن يداً غريبة مجهولة دفعتهما لارتكاب الفعل الشنيع.. المقدمات التي نعرفها عن الشخصيتين لن تجعلنا نعتقد بأنهما بصدد الإقدام على القتل، ولاسيما كلايف بشخصيته الحساسة وتاريخه. ستصدم الجريمة أفق توقعنا، فهما سيقترفانها كما لو كانا مخدرين. أو هي جريمة تحدث في حلم مشترك سيستيقظ كل منهما منه برأس مصدوع، وشيء من الاستغراب والدهشة.

يتنقل الراوي بين الشخصيتين الرئيستين كلايف وفرنون.. ففي البدء هما مع بعضهما يحضران جنازة مولي، وفي النهاية، وهما في كفنيهما يصلان ميتين إلى مطار هيثرو. وبين البدء والنهاية نتعرف على دقائق حياة الرجلين وهما يؤديان عملهما ويستعيدان ذكرياتهما. أما الشخصيات الأخرى فتظهر وتختفي خلل الإيقاع الذي تؤديه حركة الشخصيتين تلك.

مولي هي السبب والمناسبة في تعرف شخصيات الرواية بعضهم ببعض. وكانت واقعة مراسيم جنازتها استهلالاً لفعل القص من قبل الراوي/ الروائي، وانفتاح السرد على عوالم أولئك الذين كانوا مقربين منها. وإذ كانت تمسك بخيوط العلاقات قبل موتها، فإنها لا تزال تفعل الأمر عينه حتى وهي ميتة.. هي الحاضرة الغائبة على طول الشريط السردي للرواية. فـ (أمستردام) هي رواية عن (مولي) ومن ثم عن عشاقها. عن العالم الذي صنعته بيديها وتركته في احتدامه وتناقضاته ومفارقاته وقسوته وهشاشته.. عالم يوشك على الانهيار، ويتبدل، ويتخذ مساراً مختلفاً، غير أنه يحافظ على استمراره.

ثمة قشرة سياسية خفيفة تغلّف أجواء الرواية. ولغة السياسة تتخلل الأحداث والحوارات. وها هو فرنون صاحب جريدة (جدج) في سعيه للإطاحة بوزير الخارجية (غارموني) ليحول دون تسنمه رئاسة الوزارة، تدفعه إلى جانب كرهه الشخصي لغارموني اليميني جملة من الأفكار السياسية ذات الطابع اليساري. إنه يفكر بمضامين المقال الذي سينشره بعد استئصال هذا السرطان (غارموني) من الجسد السياسي، على حد تعبيره. فمع استقالة الأخير "سوف يُكشف النقاب عن النفاق، وسوف يبقى البلد موجوداً في أوروبا، وسيبقى العقاب الأكبر والتجنيد الإلزامي حلم شخص مهووس، وسوف يتم إنقاذ الانتعاش الاجتماعي بشكل أو بآخر، وسوف تتاح للبيئة العالمية فرصة جيدة، وأوشك فرنون أن يصدح بالغناء".

يفصح الكاتب (مكيوان) في هذه الرواية، وهو يعرض لنا شخصياته المبتكرة في حيواتها وصراعاتها عن ثقافة موسيقية واسعة، ناهيك عما يحدث خلف الأبواب المغلقة لإدارات الصحف، والمؤامرات التي تُحاك في إطار العمل حيث يتداخل الإعلامي بالسياسي بالشخصي.

لا تخلو رواية (أمستردام) من التعقيد الذي يسم العلاقات البشرية، والتشابك الذي يطبع تقنيات فن الرواية الحديثة. غير أن القارئ لن يصادف أية معميات في بنائها السردي، وستتكشف له صلتها بتقاليد الرواية الإنجليزية، تلك التي يمكن تلمسها في أعمال ديكنز والأخوات برونتي وتوماس هاردي ولورنس، مع فارق أساسي فرواية (أمستردام) تتصف على عكس كثر من الروايات الإنكليزية ثقيلة الظل، بسرعة إيقاعها وخفته، فهي مكتوبة بلغة مختزلة، من غير زوائد. رشيقة، شيقة، ومحكمة البناء.

ثقافة العين الواحدة والأذن الواحدة

علي لفتة سعيد
قاص وروائي

يبدو إن المثقفين العرب ما زالوا واقعين تحت مطرقة العواطف والاستماع بإذن واحدة واستخدام عين واحدة فيما يكون لسانهم طليقا وأصابعهم تعرف كيف تمسك بالقلم ولكن ليس لقول أو كتابة الحقيقة بل لتزييف الحقائق والتشهير بالآخرين من اجل الإمساك بلعبة العواطف التي ما زالت هي المهيمنة على العقل العربي ومنهم المثقف الذي يفترض إن يكون علامة من علامات الأمة.

هكذا هو المشهد ألان في الساحة العربية..ولأنني لا أريد أن أخوض فيما كتبته الآداب البيروتية لأنها حلقة من حلقات ممارسة الغبن على الأديب العراقي والمثقف العراقي عموما فان البلدان العربية التي لن تتوحد بسبب العواطف الزائفة التي يعيشون في داخل شرنقتها التي لم تتحول إلى جنين بعد فكيف بها ولادة صحيحة..أقول إن الشواهد كثيرة على ممارسة الظلم الذي يعيشه المثقف العراقي منذ أمد بعيد إلا استثناءات قليلة يفرضها المثقف العراقي نفسه أو لوجود تشابه ما بين المثقف العراقي الذي يسمع بإذن واحدة ويرى بعين واحدة مثلهم..

إن التهجم الذي استخدمته الآداب البيروتية التي كانت محط رحال الأدباء العراقيين منذ بداية صدورها بل كان الأدباء العراقيون هم ملح المجلة لم يكن منطلقا من تلك الرؤية الناقصة للوضع العراقي ليس الآن في زمن ما بعد عام ٢٠٠٣ بل حتى في السنوات التي سبقت هذا التاريخ الذي أصبح عكازة لمن يريد أن يشهر بالآخرين ويطعن بوطنيتهم وانتمائهم العربي وثقافتهم الإنسانية التي يفترض ألا تكون ثقافة قومية فحسب لان الأديب لا ينتمي إلى جهة إلا إذا تحول إلى سياسي..ولان المثقف العربي من أمثال ما جاء في الآداب هم سياسيون وليس أدباء كما يفترض بدليل الهجوم غير المبرر على المثقفين العراقيين والعرب الذين اشتركوا في مهرجان المدى وأسبوعه الثقافي الذي لو عرف كتاب هذا التهجم عنه شيئا وما يمثله للأدباء والمثقفين والمبدعين العراقيين لما تحركوا بل لانحنوا إليه تكبيرا واحتراما ولن نقول إجلالا..ولكن مصيبتنا مع بعض المثقفين القوميين هي أنهم لن يسمعوا إلا بأذن واحدة ولن يروا إلا بعين واحدة وربما مع سبق الإصرار والترصد والعناد.

إن مهرجانات المدى هي المتنفس الوحيد للمثقفين بعد أن تحولت المؤسسات الحكومية العراقية إلى ساحة أخرى يتنافس عليها السياسيون كما يفعل المثقفون العرب حين يتحولون إلى ساسة بحكم ثقافتهم التي تعودوا وتربوا عليها وهي أن من ليس معي ضدي وعلينا إقامة الحد عليه وما زالوا يتغنون بالسيف والثار والعروبة من منطلق ثقافة القبيلة التي جعلتهم يرسمون السيوف على صدورهم علامة القوة دون يضعوا حكمة في رؤوسهم لكي تكون مفتاحا لآرائهم.

إن محنة المثقف العراقي هي في مثل هذه الجوقة التي نعاني منها وهم يلتفتون ألف مرة يمينا وشمالا حين يصل إليهم نتاج عراقي للنشر أو يستقبلون رسائل من مثقفين عراقيين ولا نعلم لماذا بل نعلم لان العراقي لن تكون له كلمتان بل كلمة واحدة هي الصدق في الطرح في حين يستخدم الآخرون لغات كثيرة حسب موقع الآخر من الساحة..أقول هذا ولنا تجربة مريرة حين سافرنا إلى خارج العراق وحين نرسل نتاجاتنا إلى المواقع العربية والمجلات بل إنهم لا يجيبون حتى عن الرسائل.

إن ما نكتبه ليس دفاعا عن المدى وما تفعله من اجل الثقافة العراقية بل هو دفاع عن المثقف العراقي الذي سيرفع في يوم ما لواء الإنسانية مخطوطا عليه الفكر والحب والاحترام ولن يرفع الشعارات القومية والعاطفية لان العراق ومثقفيه يرون بعينين اثنتين ويسمعون بأذنين اثنتين ويكتبون الصدق ولا يجاملون احدا ولتذهب كل الكلمات الزائفة إلى محكمة التاريخ لأنه سيقول قوله الفصل بكل تأكيد. أما المدى فيكفيها إنها عراقية تعمل من اجل الإنسان وإشاعة الثقافة وأما نحن فسنبقى بلا مزايدات على عروبتنا لأننا عرب وبلا أسماء ضيقة لأننا ننتمي إلى الكون وبلا هجوم لأننا لا نخط السيف على يافطاتنا بل نحمل الحكمة أينما توجهنا.

متابعات

اتحاد ادباء البصرة يحتفي بالقاص جابر خليفة جابر

عبد الحسين الغراوي
البصرة

احتفى اتحاد ادباء البصرة في قاعة محمود عبد الوهاب بالقاص جابر خليفة جابر بمناسبة صدور مجموعته القصصية" طريدون" قدمت في الاحتفالية مجموعة من الأفكار ارتكزت عليها القصص من نواحيها الاجتماعية والانسانية وقد عبر القاص الدكتور لؤي حمزة عباس بورقته النقدية التي تناول فيها مجمل المسيرة الابداعية للقاص جابر خليفة جابر مشيرا الى جمالية قصص المجموعة واهدافها الموضوعية والانسانية والاجتماعية مركزا على لغة السرد التي تناولتها مجموعة طريدون كما اسماها القاص جابر خليفة وقال ان طريدون منجز ابداعي مهم كما وقدم الناقد جميل الشبيبي ورقته النقدية حول المجموعة متناولا فيها قصص المجموعة وموضوعاتها وشارك في الاحتفاء القاص محمود عبد الوهاب بمداخلته التي اثنى فيها على جهد القاص كما شارك الناقد جاسم العايف بورقته النقدية حول تقنية قصص المجموعة وفنيتها التي كتب فيها القاص منجزه الادبي الابداعي وتحدث في الاحتفالية الناقد كاظم الجماسي مستعرضا قصص طريدون اما القاص جابر خليفة فقد بدأ الاحتفالية التي قدمه فيها القاص رمزي حسن بالحديث عن بداياته القصصية وتجربته الادبية والابداعية وقد حضرت الاحتفالية نخبة من ادباء ومثقفي البصرة.

من المكتبة الأجنبية

من المكتبة الأجنبية

تاريخ الديمقراطية
تأليف: جون دون
الناشر: اطلانتيك مونثلي - بريس ٢٠٠٧

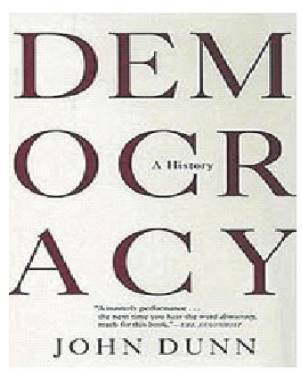

مؤلف هذا الكتاب هو البروفيسور جون دون أستاذ العلوم السياسية في جامعة كامبردج، وهو يقدم في هذا الكتاب لمحة تاريخية شاملة عن نشوء فكرة الديمقراطية لأول مرة في اليونان القديمة وكيفية تطورها على مدار الأحقاب الزمنية التالية حتى وصلت إلى يومنا هذا. يقول المؤلف ما معناه:إن الديمقراطية تدل على مجموعة من المبادئ الفلسفية والسياسية التي ينظم شعب ما بموجبها حياته طبقا لقواعد واضحة يبلورها الجميع ولا يستثنى أحد من المشاركة فيها. وكلمة ديمقراطية كما هو معروف يونانية الأصل وهي مشكلة أو مركبة من كلمتين: ديموس: أي الشعب، وكراسيا: أي سلطة أو سيادة أو حكم. وبالتالي فيصبح معناها: حكم الشعب للشعب. وكل نظام لا يشارك الشعب في حكمه لا يعتبر ديمقراطيا، وقد يكون عندئذ استبداديا أو قد يتخذ صيغة حكم رجال الدين، أي الثيوكراسيا، وهي أيضا مركبة من كلمتين: ثيوس: أي رجال الدين، وكراسيا: أي حكم

التنوير الراديكالي
تأليف: مارغريت سي. جاكوب
الناشر: كورنرستون بوكس ٢٠٠٧

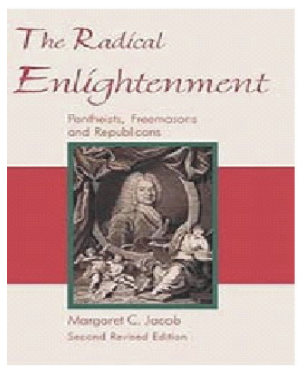

في هذا الكتاب الجديد تواصل الباحثة مارغريت سي. جاكوب أستاذة تاريخ الأفكار في جامعة كورنيل دراساتها السابقة وتضيف إليها أشياء جديدة واكتشافات علمية لا يستهان بها. وهي تقسم كتابها إلى ثلاثة أقسام أساسية: الأول مكرس لدراسة تيار وحدة الوجود، والثاني لدراسة التيار الماسوني، والثالث لدراسة التيار الجمهوري. ومنذ البداية تقول المؤلفة ما معناه: ينبغي العلم بأن عصر التنوير كان منقسما إلى قسمين أساسيين: التنوير المؤمن، والتنوير الملحد، أو التنوير المعتدل والتنوير الراديكالي المتطرف. الأول كان يؤمن بالله ولكن دون أن يلتزم بأداء الطقوس والشعائر المسيحية، والثاني لم يكن مؤمنا بالمعنى التقليدي للكلمة.

إعادة الاعتبار للينين
تأليف: جماعي بإشراف: سيباستيان بودجين
الناشر: مطبوعات جامعة ديوك 200 7–

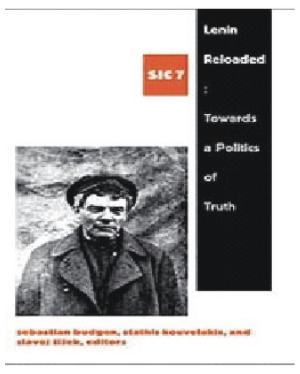

ساهم في تأليف هذا الكتاب العديد من المثقفين اليساريين في الغرب، وأشرف عليه المفكر سيباستيان بودجين رئيس تحرير إحدى المجلات الماركسية والمناضل من أجل مكافحة العولمة الرأسمالية. ويرى الباحثون المشاركون في هذا الكتاب أن لينين قد ظلم في الآونة الأخيرة بعد أن انقلب معظم مفكري الغرب الأوروبي والأميركي على الماركسية. فلينين يستحق معاملة أخرى أقل احتقارا وأكثر احتراما للحقيقة التاريخية. فالرجل ناضل من أجل مجتمع عادل على الرغم من كل شيء. ولا ينبغي أن نستهين بشخصيته ولا بإنجازاته. لا ريب في أنه ارتكب أخطاء عديدة، ولا ريب في أن النظام الذي أقامه قد انهار في نهاية المطاف.

فلسفة مبسّطة للتلفزيون
تأليف: كريستوف لامور
الناشر: ميلان. باريس ٢٠٠٧

يعمل مؤلف هذا الكتاب محاضراً في الجامعات الفرنسية. له العديد من الدراسات حول الظواهر اليومية في حياة المجتمعات الغربية الاستهلاكية. وهذا الكتاب يناقش خاصة ظاهرة محددة تتعلق بسلوكيات مشاهدي التلفزيون الذين يمضون أمامه ساعات طويلة كل يوم. ويبين المؤلف منذ البداية أنه يتبع منهجاً نقدياً محاولاً لعب (دور الطبيب الذي ينكب على مرضاه المصابين بداء التلفزيون). وتتمثل أولى المسائل التي يتعرض لها بالدراسة في الوضعية التي يتلقى فيها المشاهد برامج التلفزيون. إنها في أغلب الأحيان وضعية الجلوس في كرسي أو الاستلقاء على أريكة. ويتم التأكيد على أن التلفزيون يقوم بالدور المطلوب منه في إغداق الوعود للمشاهد عبر ما يبثه من برامج. هذا المشاهد الباحث عن (متعة التفرج) ودون أن يتحرك نراه يتنقل من محطة إلى أخرى عبر التحكم من بعد. مثل هذا الوضع يحوّل الإنسان إلى كائن مفرغ الرأس.

مجلات

الثقافة الاجنبية في عدد ممتاز

عرض المدى الثقافي

عن دار الشؤون الثقافية العامة صدر العدد الرابع من مجلة الثقافة الأجنبية، وهي مجلة فصلية تعنى بشؤون الثقافة والفنون، يرأس تحريرها كامل عويد العامري، وسكرتير تحريرها سلمان داوود محمد وضم العدد محوراً عن الثقافة والعنف، تضمن عدداً من الدراسات منها بانوراما العنف في الياذة هوميروس ترجمة كامل عويد العامري وثقافة الارهاب مقتطفات من نعوم جومسكي ترجمة فضيلة يزل، وشعراء ضد الحرب ترجمة كامل شاكر حامد.

ونشرت في العدد نصوص شعرية وقصصية قام بترجمتها طارق العاني، وابراهيم عبد الرزاق وعبد الحسين ارزيج واعتقال الطائي.

اما كتاب العدد فكان "الاطروحة اللاهوتية" لتشيسواف ميووش قام بترجمته هادي الجنابي وهو قصيدة طويلة يقول عنها ميووش: كتبت هذه القصيدة بحثاً عن لغة يمكنني ان اتكلم بها عن الدين طالما تشكل اللغة المقبولة، التعبدية ها هنا، عائقاً اما لغة اللاهوت فتبدو لي مهذارة كثيراً.

ان هذا العدد الذي سمي بالممتاز متميز في موضوعاته وطريقة اخراجه.